بصراحة

# هل يمكن إخراج العراق من المحاصصة الطائفية؟

صلاح سعيد أمين
Selah1434@gmail.com

نسمع من هنا وهناك، وخصوصاً عندما تشتدّ الصراعات و المنازعات السياسية بين الكتل السياسية المختلفة، المحسوبة على الطوائف المكونة للعراق، أصواتاً تدعو إلى عراق خال من النغمة القومية، والمحاصصة الطائفية، عراق عابر للهويات الإثنية، ومحتضن لكل أبنائه، بتلاوينهم المختلفة، ضمن هويتهم الجامعة (العراق)، على اعتبار أن هوية العراق تجمعهم دون تمييز، وتمنحهم إطاراً سليماً للتعايش والتساكن على مائدة واحدة!.. لكن السؤال المثير للجدل، وبالنسبة لدولة كالعراق على وجه الخصوص هنا، هو: هل يمكن بالفعل إخراج العراق من المحاصصة الطائفية؟ وهل يقبل العراق نشوء نظرية خالية من المحاصصة الطائفية؟

الإجابة الواضحة تدفعنا للرجوع إلى بدايات تشكيل الدولة العراقية، وكيفيّة مسيرتها منذ ولادتها لحدّ هذه اللحظة. وباختصار شديد، فإنّ الدولة العراقية، وخارطتها الجغرافية، منذ تأسيسها تقريباً قبل قرن من الآن، وبالتحديد في ١٩٢١، قد تشكّلت على أساس مكونات مختلفة، طائفيّة وعرقيّة ومذهبيّة، وأن الصراعات الطائفية، والمنازعات العرقية، لم تفارق هذه الدولة منذ تشكليها لحد الآن لحظة. ولا يخفى أن السلطة في هذه الدولة منذ بدايات عمرها حتى التغيير النيساني في ٢٠٠٣ تحسب على طائفة معينة، مذهبياً على السنّة، عرقياً على العرب، في حال ينكر أهل السنة هذه النظرة بشدّة، ويعدّونها ظلماً بحقهم..

وبعد التغيير النيساني في ٢٠٠٣، وسقوط الصنم ببغداد، وعلى أساس التغيّرات التي تلت بعد ذلك، تشكّلت الدولة العراقية من جديد على أساس طائفي مكوناتي واضح، أكثر بكثير من ولادتها الأولى، ويقنّن (الدستور العراقي) – هذه المرّة – الهويّة الطائفية للدولة العراقية، ويجسّدها، بما في ذلك حسم المناصب العليا في الدولة للمكونات المختلفة، فتأخذ كلُّ طائفة حصّتها من كعكة العراق الجديد.. ولم نسمع من أحد، أو من طائفة معينة، صراخاً، أو احتجاجاً: لا للهوية الطائفية للدولة، لا للمحاصصة في تسنّم مناصب الدولة.. ولم نسمع من أحد رفضه تسنّم منصبه، بحجة عدم قبوله لهذا التقسيم الطائفي للمناصب الحكومية.

ولا ننسى، وبعد ظهور (داعش) خصوصاً، كيف قامت طائفة معينة، وعلى أساس فتوى مرجعيتها العليا، بتشكيل حشد عسكري خاص بهم، والمتابعين للشأن العسكري يشيرون إلى أن هذا الحشد ابتلع الجيش العراقي، وبعض قادتهم يقولون صراحة: إن حشدهم أقوى من الجيش العراقي..

أخيراً، إن العراق لا يمكن أن يخرج من طائفيته، لأن الطائفية جزء من كينونة هذه الدولة. والطائفية بذاتها لا تعدّ مشكلة، بل المشكلة تأتي عندما لا تستطيع تلك الطوائف أن تقبل بعضها بعضاً. فالمعضلة تأتي عندما يريد أحدهم كسر ضلوع الآخر المختلف، لاختلافه معه في التفكير والطائفة.. وإلا فإنّ الاختلاف، والتمايز في التفكير، هو مصدر قوّة، ومنبع ثراء، وعامل تقدّم، وليس العكس..❐